أنبياء اللّه في مصر

أول الأنبياء المصريين

بينا في الفصل السابق اعتراف علماء المصريات والمؤرخين بمعرفة المصريين القدماء التوحيد الخالص ، والسؤال من أين جاء المصريون القدماء بهذا التوحيد الخالص ؟

هل ظهر التوحيد الخالص نتيجة للمقومات الطبيعية والبشرية التي تحدَّث عنها بعض علماء الحضارة ؟!

الحقيقة إن المصريين القدماء عرفوا التوحيد الخالص منذ فجر التاريخ على يد نبي الله إدريس عليه السلام أو هرمس كما يسميه اليونان– كما سبق أن ذكرنا في الفصل السابق – وصحفه المقدسة المنزَّلة من السماء .

يقول ديورانت في " قصة الحضارة : " كان من المألوف في الأزمان القديمة أن تُعْزى كتب القوانين إلى الوحي الإلهي ،وكانت قوانين مصر تعزى إلى تحوت "

وتحوت هو نفسه هرمس عند اليونان .

يقول د. سليم حسن : " أطلق اليونان على تحوت اسم هرمس " (١)

ويقول ول ديورانت " كان اليونان يعظمون تحوت ويسمونه هرمس المثلث العظمة."(١)

---

(١) د. سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " ج١ ص ١٨٦ مرجع سابق .

فتحوت هو هرمس ، وهرمس هو نبي الله إدريس .

يقول ابن تغر بردي : " إن هرمس الموصوف بالحكمة والذي تسميه العبرانيون خنوخ هو إدريس عليه السلام " (١)

يقول النويري : "هرمس: نبي، وحكيم، وملك قيل: هو إدريس عليه السلام." (٢)

ابن خلكان " ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهي الذي يسميه العبرانيون خنوخ وهو إدريس عليه السلام " (٤)

وتشير برديات هرمس إلى العلاقة بين ظهور عقيدة التوحيد وظهور جذور المعرفة في الحضارة المصرية القديمة والتي ارتبطت جميع عناصرها بالعقيدة ، تقول برديات هرمس " عندما آمن المخلوق برب السماء أنعم عليه بنعمة المعرفة التي حملها تحوت رسول الإله الذي ينقل رسالته إلى البشر " (٥)

ويقول ول ديورانت " كان معظم علماء مصر من الكهنة، ذلك لأنهم بعيدون عن صخب الحياة وضجيجها، يتمتعون بما في الهياكل من راحة وطمأنينة؛ فكانوا هم الذين وضعوا أسس العلوم المصرية ،وهم يقولون في أساطيرهم أن العلوم قد اخترعها من ١٨٫٠٠٠ سنة قبل الميلاد تحوت إله الحكمة المصري في خلال حكمه على ظهر الأرض"(٦)

---

(١) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ج١ص ٣٢٦ .
(٢) ابن تغر بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ص ٦٦ .
(٣) النويري " نهاية الأرب في فنون الأدب " ص ٦٣٨ .
(٤) ابن خلكان "وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان " ص ١٢٣٨
(٥) د. سيد كريم " لغز الحضارة المصرية " مرجع سابق ص ٧٠
(٦) ول ديورانت " قصة الحضارة " مرجع سابق ج١ص ٣٢٥ .

وفي دائرة المعارف للبستاني : " إن إدريس قد ملأ ٣٠٠ كتاباً بالإلهامات التي أُلهم بها " .

ويذكر القرماني أيضاً: " وقد صنَّف إدريس الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل ومما فيه إظهار أسرار الربوبية " .

ولقد جاء في حديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الأنبياء عليهم السلام ذكر الصحف الثلاثين التي أوحى الله تعالى بها إلى إدريس نبي المصريين .

قال أبو ذر الغفاري : { .... قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك ؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب". قلت: فمن كان أولهم ؟ قال: "آدم" قلت: أنبي مرسل ؟ قال: "نعم، خلقه الله" بيده، ونفخ فيه من روحه، سواه قبيلاً " .

ثم قال : "يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم وشيث **وخنوخ وهو إدريس**، وهو أول من خط بقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيك يا أبا ذر وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول الرسل آدم وآخرهم محمد" قال: قلت: يارسول الله، كم كتاب أنزله الله ؟ قال: "مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، **وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة**، ... } (١)

وذكر القرطبي في تفسيره : " إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها. وسمي إدريس لكثرة درسه لكتاب الله تعالى. وأنزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث أبي ذر. الزمخشري: وقيل سمي إدريس إدريس لكثرة درسه كتاب الله تعالى . " (٢)

---

(١) ذكر الحديث ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤]

(٢) تفسير القرطبي لقوله تعالى : {واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا} [مريم : ٥٦]

هذا ما قاله المفسرون في حق إدريس ، فماذا قال علماء المصريات عن تحوت؟

الحقيقة أن الكلام يكاد يتطابق مما يؤكد أنهما شخص واحد .

يقول علماء المصريات : " تحوت إله العلم والحكمة والأدب ، وكاتب الآلهة ومخترع اللغة الهيروغليفية وواضع القوانين ومخترع علم الحساب والفلك " (١)

وإذا كانت دعوة التوحيد قد بدأت في مصر واعتنقها المصريون منذ عهد إدريس عليه السلام أي منذ ما قبل ٨.٠٠٠ عام . فإنها قد ظلت عقيدة راسخة نجد أصداءها تتردد بقوة على مر العصور والعقود .

وقبل أن يسارع أحد بتكذيب توحيد المصريين القدماء باسم الإسلام نضع بين أيديكم هذه الحقائق :

موقف الإسلام من توحيد المصريين القدماء

إن الدين الإسلامي لا يكذِّب شيئا مما ذكر عن توحيد المصريين لله تعالى الواحد الأحد بل على العكس يؤكده وإليك الدليل على هذا :

إن القرآن الكريم قصَّ علينا قصص الأنبياء الذين عاشوا في مصر ، فبها وُلد إدريس ، وموسى ، وهارون ، وعاش فيها الخليل إبراهيم ،وإسماعيل ،ويعقوب ويوسف وعيسى – عليهم السلام جميعاً ممن جاء ذكرهم في القرآن الكريم وممن لم يأت ذكرهم ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء : ١٦٤]

وبنص الآية الكريمة فإن هناك رسلاً عديدين لم يأت ذكرهم في القرآن الكريم . ولا شك أن منهم الكثير ممن أرسلهم الله سبحانه إلى المصريين

(١) عبد القادر حمزة " على هامش التاريخ المصري القديم " مطابع الشعب ٤٧٧ .

القدماء – بالإضافة إلى من جاء ذكرهم في القرآن الكريم – على مدى آلاف السنين في تاريخنا المجيد الطويل المديد .

إذا لم يكن المصريون قد عرفوا التوحيد ، فماذا فعل هؤلاء الأنبياء – عليهم السلام – في مصر ، أ لم يبلغوا رسالة الله للمصريين ؟ أ لم يؤدُّوا الأمانة إليهم ؟

بلى بلغوا الرسالة للمصريين ، وأدوا إليهم الأمانة ودعوا إلى الله الواحد حتى في أحلك الظروف .

ألم يدعو يوسف عليه السلام إلى توحيد الله تعالى وهو في سجن ملك مصر .

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : ٣٩]

ألم يبلغ موسى وهارون فرعون وملئه رسالة الله تعالى بل وحاجَّاه فيها .

﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {٤٣} فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {٤٤} قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى {٤٥} قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى {٤٦} فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى {٤٧} إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى {٤٨} قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {٤٩} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى {٥٠} قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى {٥١} قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه : ٤٣– ٥٢]

لقد أرسل الله تعالى في كل أمَّة من الأمم رسولاً يهديهم إلى الحق ، وأرسل مع كل رسول كتاباً مقدساً فيه شريعة الله تعالى .

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر : ٢٤]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ (الكتب المقدسة) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل ٤٢، ٤٣]

فلم العجب من معرفة المصريين للتوحيد الخالص ، وما العجب من نزول كتب مقدسة على رسلهم وقد دلت الآية السابقة على ذلك ؟!

وربما قال أحدهم إن القرآن الكريم حدثنا عن تكذيب الفراعنة لرسل الله .

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال : ٥٢]

نعم إن من المصريين القدماء من كذَّب الرسل ولا نعلم منهم إلا فرعون موسى لكن القرآن لم يحدثنا ولو لمرة واحدة أن الفراعنة – هكذا بصيغة الجمع – كلهم كذبوا الرسل .

كما أن القرآن الكريم لم يقل مرة واحدة أن المصريين كذبوا الرسل ، وكيف يكذب كل المصريين على مدي تاريخهم القديم – كل الرسل على كثرتهم واختلاف أوقات نزولهم ؟

أ لم يؤمن مصري واحد برسول ؟!

ونأتي الآن إلى فرعون موسى الذي عمَّم المسلمون والمسيحيون واليهود عقيدته وجبروته لتشمل جميع حكام مصر بل جميع المصريين القدماء ، فجعلوا كل مصري : حاكماً أو محكوماً ، فرعونَ موسى حاكماً طاغياً متألِّهاً !!

المؤمنون في عصر فرعون

لقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن كفر فرعون حاكم مصر زمن نبي الله موسى وطغيانه ، فهل ذكر القرآن الكريم – ولو لمرة واحدة – أن كل شعبه كان كافراً مثله ؟

اللهم لا .... إنما دائما القرآن الكريم يخصص فيقول : آل فرعون (أي أهله) أو ملئه (الأشراف ، والعلية) أو جنوده ، وأقصى تعميم للقرآن الكريم هو قوم فرعون ، وقوم الرجل أقاربه عصبية ومن يكنون بمنزلتهم تبعاً له .(١)

الأعجب من ذلك أن القرآن الكريم ذكر أن جماعة من قوم فرعون قد آمنوا بموسى عليه السلام .

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[يونس:٨٣]

قال ابن كثير في تفسير الآية " قال ابن عباس: الذرية التي آمنت لموسى من غير بني إسرائيل قوم يسير " منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه ، وماشطة ابنة فرعون "

بالإضافة إلى سحرة فرعون الذين آمنوا برب العالمين رب موسى وهارون.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ {١١٧} فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {١١٨} فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ {١١٩} وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ {١٢٠} قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ {١٢١} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١١٧ – ١٢٢]

ويخبرنا الحق جل وعلا أنه أهلك قوم فرعون الذين كذبوا أجمعين ، فهل أهلك الله تعالى شعب مصر على فرض أنهم هم قوم فرعون ؟!

بالطبع لم يقل بهذا عاقل إنما قوم فرعون هم من آمنوا به وكفروا بالله تعالى : ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَه فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ {٥٤} فَلَمَّا

(١) انظر معاجم اللغة في معنى : آل ، الملأ ، قوم الرجل .

آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {٥٥} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤ – ٥٦]

أ لم يبق شيء من الكتب المقدسة فيه ما يدل على وحدانية الله ؟!

والحقيقة التي لا يماري فيها عاقل أن مصر كغيرها من الأمم التي أرسل الله إليها رسلاً منهم من آمن ومنهم من كفر ، وأن الحضارة التي دوَّنت كل حياتها أ تبخل على كتب الله المقدسة بالتدوين ؟

وما تلك الكتب المقدسة التي عُثر عليها ؟ أ هي من صنع بشر ؟!!

إن كثيراً من الوثائق المصرية القديمة ككتاب الموتى ، ونشيد الشمس لا تملك أن تقول فيه إلا كما قال النجاشي عندما سمع القرآن " هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة "

يقول رع عن نفسه : " إني أنا الذي خلقت السماء والأرض وأرسيت الجبال . أنا الذي خلقت الساعات ومن ثَمَّ جاءت الأيام إلى الوجود .

أنا الذي خلقت نار الحياة .(١)

ويقول عن نفسه أنه : " الإله المقدَّس الذي جاء إلى الوجود بنفسه .. الإله الأزلي الذي وُجد في البدء والذي رفع السماء وسوَّى الأرض .. الإله الذي لا ينازع سلطانه منازع ذو القول الفصل " (٢)

ورع هو الاسم الأشهر الذي عُرف به الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو ما يقابل عندنا لفظ الجلالة " الله " .

و" رع " عند المصريين القدماء ليس اسم الله الأعظم ، فاسم الله الأعظم لا يعرفه أحد ، وعند قضية اسم الإله نتوقف قليلاً إذ يجب أن

---

(١) نقلا عن إبكار السقاف " الدين في مصر القديمة ". العصور الجديدة ص ٤٥ .
(٢) نفسه ص ٤٦ .

نلفت الانتباه إلى نقطة لها خطورتها في اللاهوت المصري القديم ، وأيضاً في لاهوت جميع الأديان السماوية .

الفرق بين أسماء الصفات واسم الله الأعظم

إن كل الأسماء الإلهية الحسنى هي في حقيقتها أسماء صفات أي أسماء لبعض صفاته سبحانه وتعالى . أما اسم الله الأعظم الذي يعبِّر عن كنهه تعالى وماهيته فهو عند اللاهوت المصري القديم – وفي كل الأديان السماوية – لا يعرفه أحد ؛ فهو مما استأثر به الله تعالى في علم الغيب عنده.

كان المصريون القدماء يدركون العلاقة بين الاسم وصورته ، فاسم الشيء تصوير لكنهه وطبيعته .

يقول سيرج سونيرون: " الكلمات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجوهر المخلوقات أو الأشياء التي تعبر عنها ؛ فإن تشابه الألفاظ لا يمكن أن يكون إذن شيئاً عرضيّاً بل لا بد أنها تعبِّر عن تقارب في الطبيعة ، واتصال دقيق يضطلع الكهنة بفهمه والقيام بتعميقه : ومن ذلك أسماء الأماكن وأسماء الآلهة والألفاظ التي تعبر عن الأشياء المقدسة . كل شيء يصبح من الممكن تفسيره عن طريق الاشتقاق والجرس الصوتي للكلمات ." (١)

ويضرب سونيرون الأمثال لتوضيح علاقة الرسم بالاسم المراد التعبير عنه نكتفي منها بمثل واحد : " فلنكتب على سبيل المثال اسم الإله بتاح مستخدمين في ذلك إشارات أصلية فنرى الكاتب يعبر عن الحرف الأول

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " ترجمة زينب الكردي ، مراجعة د. أحمد بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٣٨ .

من اسم الإله وهو " ب " بصورة السماء ، واسمها كما ينطق به في المصرية " بة " ، وعن حرف " ت " بصورة الأرض واسمها المصري " تا " ، وعن حرف " ح " برسم الإله " حح " رافعاً ذراعيه إلى أعلى ومعبراً في الوقت نفسه عن إحدى الوظائف التي أسندتها نظرية منف الدينية إلى الإله " بتاح " الذي فَصَلَ في خلق الكون بين السماء والأرض ، وفي وضع رسم المعبود " حح " بين السماء " بة " التي يرفعها بذراعه، والأرض " تا " التي وطئها بقدميه استطاع الكاتب أن يرسم الصورة الصوتية لاسم المعبود " بتاح " ، وأن يرسم في الوقت نفسه صورة صغيرة تترجم رؤيتها وظيفة هذا الإله بين عناصر الكون"(١)

وهكذا يستطيع النص المرسوم على هذا النحو أن يتحدَّث إلى العقل الذي يتابع الألفاظ ويدرك معانيها إلى العيون التي تترسم الصور والأشكال ، شأنها في ذلك شان الفيلم الذي يتحدث إلى العقول بأحداثه وإلى العيون بصوره ، فيعبر عن القتال بصورة رجلين يقتتلان . (٢)

فبالله عليك وحالة الكتابة المصرية على هذا النحو كيف يكتبون اسم الله الأعظم !! لذا لم يذكروا له اسماً ، ولم يرسموا له رسماً ، ولم ينحتوا له تمثالاً، لأنه باطن خفي عن مخلوقاته لا تدركه الأبصار .

جاء في كتاب الموتى وهو أقدم كتاب مقدَّس عرفه المصريون القدماء في عصور ما قبل الأسرات : " لا يعرف الإنسان اسم الخالق " .

وفي متون الأهرام : " إن الخالق لا يمكن معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول " (٣)

---

(١) نفسه ص ١٤٤ .
(٢) نفسه ص ١٤٥.
(٣) د. نديم السيار " ليسوا آلهة ، ولكن ملائكة " ص ٣٢٠

إنه من المستحيل أن يصل المصريون القدماء إلى هذا التوحيد بعقولهم المجردة مهما بلغوا من الذكاء والعبقرية .

هل يعرف المسلمون اسم الله الأعظم؟

الحقيقة إن المسلمين كالمصريين القدماء لا يعرفون يقيناً اسم الله الأعظم وكل من ذكره بعض العلماء المسلمين إنما هو اجتهاد منهم وليس حقيقة ثابتة جاء في الحديث الصحيح : " مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، ..."

والشاهد قوله " أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ " وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن حصره ولا الإحاطة به ، وهذا هو الحق وهو مذهب الجمهور بل حكى النووي الاتفاق عليه ، قال الخطابي عند ذكره لهذا الحديث : " فهذا يدلك على أن لله أسماء لم ينزلها في كتابه حجبها عن خلقه ولم يظهرها لهم ، وقال ابن القيم في شفاء العليل :" الحديث دليل على أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره " .

وأما الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: " إنَّ للهِ تِسعةً وتِسْعينَ اسماً ، مائةً إلا واحدة ، مَن أحصاها دَخَلَ الجنَّة " فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ، ونظير هذا أن تقول : عندي مئة درهم أعددتها للصدقة فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة .

قال ابن تيمية : أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما في الحديث الصحيح :" أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابه، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"

فجعل أسماءه ثلاثة أقسام :

قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه .

ولهذا قال: استأثرت به أي: انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمية به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه، ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة " فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن " وتلك المحامد هي بأسمائه وصفاته، ومنه قوله ﷺ " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " وأما قوله ﷺ " إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " فالكلام جملة واحدة، وقوله " من أحصاها دخل الجنة " صفة لا خبر مستقل .

والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها، وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدين لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه .

لماذا أخفى الله تعالى اسمه الأعظم

إن لله تعالى حكمة عظيمة في إخفاء اسمه الأعظم ؛ لتعظيم كل أسمائه الحسنى ودعائه بها ، ولو ذكر الله تعالى اسمه الأعظم لاكتفى

الناس بذكره وهجروا أسماءه الحسنى الأخرى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] والمعنى: ولله تعالى وحده جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات فادعوه أي سموه واذكروه ونادوه بها جميعاً ولا تقتصروا على اسم دون غيره ، ولقد نزلت هذه الآية في رجل من المسلمين كان يقتصر في دعائه على اسمي الله تعالى : الرحمن ، والرحيم فقط . قال مقاتل وغيره من المفسرين: نزلت الآية في رجل من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت" .

ولم يخف الله تعالى اسمه الأعظم فحسب بل إنه تعالى أخفى تحديد وقت ليلة القدر ليقيم الحريص عليها كل ليالي رمضان ، كما أخفى رضاه في الطاعات حتى يُرَّغِبَ فيها جميعاً ، وأخفى الإجابة في الدعاء للاجتهاد فيه دوماً ، والتوبة للمواظبة عليها ، وأخفى أجل الإنسان للاستعداد له في كل وقت .

نظرية المصريين القدماء في نشأة الكون

والأعجب من ذلك أن المصريين القدماء عرفوا نشأة الكون كما جاء في الكتب السماوية ، وكما أثبتتها الأبحاث العلمية الحديثة .

فقد جاء في الوثائق المصرية القديمة أن الإله " رع " هو الذي خَلَق الخَلْق وكان عرشه على الماء .

جاء في كتاب الموتى { إني أنا " أتوم " حين كنت في نون – الماء الأزلي – وإني أنا " رع " حين بدأت أحكم مَن قد خلقت } (١)

(١) نقلا عن إبكار السقاف " الدين في مصر القديمة ". العصور الجديدة ص ٤٤ .

وأتوم هو اسم من أسماء صفات الإله بمعنى المبدئ أو الخالق وليس إله آخر مع رع أو أمون ... .

يقول سليم حسن عن نشأة الكون : " هكذا بدأ العالم بالإله " أتوم " الخالق " (١)

ويجب ألا نتعجب من كثرة صفات الإله وأسمائه فقد جاء في الحديث الصحيح " إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر" [متفق عليه]

وذكر الله تعالى بعضها مجمَّعاً فقال تعالى :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ {٢٢} هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ {٢٣} هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢- ٢٤]

فهل الملك والقدوس والمؤمن والمهمين والعزيز والجبار... أسماء آلهة؟!

لا يقل بهذا مسلم عاقل صحيح الإسلام إنما هي أسماء لمسمى واحد أحد فرد صمد لا تدركه الأبصار .

وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] أن رجلاً من المسلمين كان يقول في صلاته: يا رحمن يا رحيم. فقال رجل من مشركي مكة: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو ربين اثنين؟ فنزلت الآية .

---

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص ٢١٠ مرجع سابق .

فمن ظن أن الرحمن إله ، والرحيم إله آخر رجل مشرك لا يدري أن جميع أسماء الله الحسنى لمسمى واحد ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:٢٣]

بعض أسماء آلهة المصريين القدماء وما يقابلها من أسماء الله الحسنى

وعلى ذلك فإن رع ، وآمون ، وبتاح ، أتوم ... أسماء حسنى لله وليسوا آلهة مختلفون كما زعم العلمانيون من علماء المصريات ومن جاراهم من المؤرخين المصريين الذين لم يدرسوا الحضارة المصرية القديمة في ضوء الرسالات السماوية المختلفة وخاصة الإسلام .

ف" **رع** " هو اسم الله : مالك الملك ، ورب العالمين ، والقوي المتين وهو أشهر الأسماء لله الواحد الأحد عند المصريين ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام هو ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦] ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨]

و**أتوم** هو اسم الله : خالق الكون ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام هو {هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّر} [الحشر:٢٤]

و**آمون** هو اسم الله : اللطيف الذي لا تدركه الأبصار ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]

بتاح هو اسم الله : والبديع ، وخالق الإنسان من طين ويمكن إن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام:٢]

سوكر وهو مرتبط ببتاح وهو اسم الله : المحيي المميت ويمكن إن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الرُّوم:٤٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج:٦٦]

و**نوت** هو اسم الله : إله السماء ، و**جب** هو اسم الله : إله الأرض ، ويمكن أن نقول إن الاسمين اللذين يقابلانهما في الإسلام هما ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:٨٤] ﴿فَللهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الجاثية:٣٦]

و**خنوم** هو اسم الله : خالق البشر ، ويمكن أن نقول إن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصِّلت:٢١]

و**شو** هو اسم الله : إله الهواء والحياة ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:٥] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشُّورى:٣٣]

و**منتو** هو اسم الله : العزيز إله الحرب القوي الذي لا يغلب ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ﴾ [هود:٦٦] ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]

و" **ماعت**" هو اسم الله : الإله الحق العدل المُشرِّع الحسيب ، ويمكن أن نقول أن الاسم الذي يقابله في الإسلام ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الحَقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢] ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]

وهكذا أسماء الله الحسنى عند المصريين القدماء لها ما يقابلها في الأديان السماوية والمشكلة تكمن فقط في الترجمة .

وكثير من الأسماء التي زعم علماء الحضارة أنها أسماء آلهة ليست أسماء آلهة إنما أسماء ملائكة أو أنبياء أو مخلوقات مُكَرَّمة أو شياطين فـ " **تحوت** " ليس إلهاً إنما هو رسول الله لهداية البشر للدين ولصناعة الحضارة وهو اسم نبي الله إدريس كما ذكرنا من قبل .

وكذلك " **إيمحتب** " الذي أسماه المؤرخون ابن بتاح وإله الطب ، ما هو إلا رسول الله ومعلم المصريين الطب ، والتشييد والبناء ، وهو الذي بنى هرم سقارة والهرم الأكبر .

و " **سِت** " ليس إلهاً إنما هو إبليس الشيطان الرجيم عدو الله ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزُّخرف:٦٢] ﴿وَإِذْ قُلْنَا

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف:٥٠]

قال القدماء أن الإله " **حُو** " هو تجسيد للنطق الذي به ينادي الإله الخالق الأشياء لتكون . ويمكن أن نقول أن الكلمة التي تقابله في الإسلام هي : كُن : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠] ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]

أما " **نون** " فهو الماء الأزلي الذي خرجت منه الأرض .

يقول سونيرون " فالنون المصرية تمثِّل صفحة الماء ذات الأمواج .. وأصبح مستفاداً من سياق النص " الماء الأولي الذي أخرج الأرض " (١)

ولقد جاء ذكْر " نون " بنفس المعنى في القرآن الكريم في افتتاح صورة القلم ، وفسَّره ترجمان القرآن ابن عباس بأنه يعني الماء ، أو المحيط :

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم : ١]

قال ابن عباس في تفسير الآية الكريمة : " أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وماذا أكتب ؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتفخر على الأرض " (٢)

---

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٤٦ .
(٢) تفسير ابن كثير للآية الكريمة ، والقرطبي ، والطبري وغيرهم .

كما جاء في القرآن الكريم أن عرش الله تعالى كان على الماء ثم خلق السموات والأرض : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء﴾ [هود : ٥]

قال مجاهد وغيره من المفسرين: إنه تعالى أيبس الماء الذي كان عرشه عليه فجعله أرضاً وثار منه دخان فارتفع، فجعله سماء فصار خلق الأرض قبل خلق السماء، ثم قصد أمره إلى السماء فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، وكانت إذ خلقها غير مدحوة . (١)

لكن ما معنى أن الله تعالى قد دحا الأرض ؟ أي جعلها كالدحية .

يقول الدكتور زغلول النجار مفسراً معنى كلمة دحية : " هذه الكلمة هي باللغة العربية الفصحى تعنى بيضة وأنها مذكورة في القرآن الكريم في سورة النازعات:﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي أن الأرض في شكلها تشبه البيضة منبعجة قليلاً عند خط الاستواء ومفلطحة عند القطبين . " (٢)

المصريون القدماء وبيضاوية الأرض والانفجار العظيم

ومما يؤكد أن المصريين القدماء كانت عقيدتهم موحى بها من السماء وليست من بنات أفكارهم – كما يدعي العلمانيون – أنهم نحتوا الإله " خنوم " في هيئة رجل ذي رأس كبش وقرون مزدوجة إنه الإله خالق الحياة والكائنات الحية ، وله صورة ظهر فيها وهو ممسك بالبيضة التي خرجت منها الحياة . (٣)

---

(١) نفسه .
(٢) نقلا عن موقع د. زغلول النجار .
(٣) معجم الحضارة المصرية القديمة مرجع سابق ص ١٥٣ .

وخلْق الأرض على شكل بيضة حقيقة جاء ذكرها في القرآن الكريم كما أثبتها العلم الحديث . فكيف عرف المصريون القدماء أن الأرض بيضاوية إلا إذا أخبرهم بها الخالق عن طريق رسله .

ومن العجيب أن المصريين القدماء ذكروا في وثائقهم أن السموات والأرض كانتا بيضة ثم انفجرت مكونتاً السموات والأرض .

وتنسب الوثائق هذا الانفجار للإله " بتاح " .

{ الإله " بتاح " الذي فَصَلَ في خلق الكون بين السماء والأرض } (١)

كما تنسب الوثائق أن الذي قام بفتق بيضة الأرض هو الإله " شو " وهذا يدل على أنهما إله واحد له عدة أسماء ، أو أن "شو" هو ملك الهواء كما أن عزرائيل هو ملك الموت ، وأن الخطأ في ترجمة لفظ " نيثر " كما سيأتي بيان ذلك .

{ نام " جب " أي الأرض تحت قدمي " نوت " أي السماء وذلك لأن الإله " شو " إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانتا رتقاً ووضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه } (٢)

وقد استشهد د. سليم حسن تعليقاً على الفقرة السابقة بقوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠]

ولقد جاء علم الفلك ليظهر هذه الحقيقة التي ذكرها الله في كتابه وتلاها نبيه على المسلمين قبل ألف وأربعمائة سنة :

فعلماء فلك يرجع نشأة الكون إلى ١٣.٧ مليار عام وذلك طبقاً لما أعلنته إدارة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) مؤخراً حيث حدثت حادثة

---

(١) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٤٤ .
(٢) د. سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " مرجع سابق ج١ ص ٢٢٩

تعرف باسم الضربة الكبرى (Big bang) وهي حادثة بداية الكون . ويعدون أن حدوث مثل هذه الحادثة كان أمراً واقعاً، إذ كانت المادة الموجودة حالياً في الكون مركزة بكثافة عالية جداً في هيئة بيضة كونية تتركز فيها كتلة الكون. (١)

والأعجب من ذلك أن القدماء المصريين يذكرون كيفية خلق الله للأشياء.

يقول سونيرون : " إن مدارس اللاهوت – لدى المصريين القدماء – قد تبنت كلها أسلوباً فنياً متشابهاً لفكرة الخلق يقوم أساساً على " الكلمة " فما هي إلا أن تجول إرادة الخلْق في خاطر الإله الأول حتى يتكلم فتكون المخلوقات والأشياء التي عبَّر عنها صوته . (٢)

وهو ما يتفق مع جاء به القرآن الكريم ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة : ١١٧]

وتذكر الوثائق أن الإله " بتاح " هو الذي خلق الإنسان وعلمه الأسماء كلها .

" بتاح إله مدينة " منف " اعتقدوا أنه خالق الإنسان من طين ، وأنه إله الفن والصناعة الأكبر " (٣)

ويقول برستد : " بتاح الذي نطق بأسماء كل الأشياء " (٤)

ويستشهد د. سليم حسن مترجم كتاب برستد " فجر الضمير " معلقاً على كلام برستد في الفقرة السابقة بالآية القرآنية الكريمة :

---

(١) نقلا عن موقع " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " .
(٢) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " مرجع سابق ص ١٣٩ .
(٣) عبد القادر حمزة " على هامش التاريخ المصري القديم " مرجع سابق ص ٤٧٢ .
(٤) جمس هنري برستد " فجر التاريخ " ترجمة د. سليم حسن مكتبة مصر ص ١٠ .

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ (البقرة : ٣١)

كيف عرف المصريون القدماء نشأة الكون ، وخلق الإنسان والله تعالى يقول :

﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ (الكهف : ٥١)

وليس ثمة إجابة إلا أنهم عرفوا نشأة الكون عن طريق وحي السماء .

المصريون القدماء والكتب المقدسة

المدهش أنه وجد تشابه إلى حد التطابق بين ما جاء في البرديات المصرية وما جاء في الكتب السماوية فالمزمور رقم ١٠٤ من مزامير داود في التوراة منقول حرفيّاً من نشيد إخناتون .

يقول د. أحمد فخري إن نشيد إخناتون هو " الأصل الذي نُقِل عنه جزء من المزمور رقم ١٠٤ من مزامير داود في التوراة " (1)

ولاحظ هذه الملاحظة كثير من الدارسين للحضارة المصرية القديمة من الأجانب والمصريين ، ومنهم د. سليم حسن الذي قابل كل كلمة في المزمور بمثيلتها في نشيد إخناتون فوجد أن النصين يكادان أن يتطابقا.(٢)

ويفصل جارودي سَبْق التوحيد المصري التوحيد العبري فيقول : في نشيد الشمس لإخناتون يُعْبَد الله خلف كل صورة، باعتباره خالقًا متفردًا لعالَم الطبيعة، ولتاريخ البشر، وباعتباره إلهًا واحدًا، ليس معه إله آخر،

(١) د. أحمد فخري " تاريخ الحضارة المصرية " ج١ ص ٤١٧ مكتبة النهضة المصرية .
(٢) راجع الموازنة التي أقامها سليم حسن بين نشيد إخناتون والمزمور ١٠٤ في موسوعة مصر القديمة" ج٥ ص ٣٠٢- ٣٠٥ مرجع سابق .

وهذا تعبير عن التوحيد الحقيقي إن الإضافة المصرية إلى ميلاد الوحدانية واضحة، حتى قبل إخناتون" في القرن الثالث عشر. ق.م" لدرجة أن المزمور الرابع بعد المائة في الكتاب المقدَّس يُعيد بصورة دقيقة "نشيد الشمس". (١)

ليس هناك تشابهاً فقط بين نشيد إخناتون ومزامير داود بل ، إن برستد يذكر أن مقياس الأخلاق المصري القديم أسمى من الوصايا العشر الموجودة في التوراة .

يقول برستد : " قد ظهرت أمامي تجارب أشد إقلاقاً لنفسي وذلك عندما كشفت وأنا مستشرق مبتدئ أن المصريين كان لهم مقياس خُلُقي أسمى بكثير من الوصايا العشر ، وأن هذا المقياس ظهر قبل أن تُكتب تلك الوصايا بألف سنة " (٢)

بل لقد وجد برستد تشابهاً بين حكم " أمينموبي " وكتاب الأمثال في التوراة .

يقول برستد : " وقد كان أعظم كشف جاوز حد المألوف في هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة " أمينموبي" التي حفظت لنا في ورقة مصرية بالمتحف البريطاني قد ترجمت إلى العبرية في الأزمان الغابرة ، وأنه بذيوعها في فلسطين صارت مصدراً استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال في التوراة " (٣)

وعندما نشر العالم الألماني " أدولف أرمان " في عام ١٩٢٤ مقاله الشهير عن بردية " أمنيوبي " ذلك المقال الذي أثبت فيه أن هذه البردية

---

(١) لمزيد من التفصيل حول أسبقية توحيد المصريون القدماء توحيد العبرانيين راجع كتابنا " الدين والسياسة والنبوءة " الفصل الثاني " أسطورة شعب الله المختار " . دار الكتاب العربي .
(٢) جمس هنري برستد " فجر التاريخ " ترجمة د. سليم حسن مكتبة مصر ص ١٠ .
(٣) نفسه ص ١٢ .

هي أصل سفر الأمثال المنسوب إلى النبي سليمان دهش العالم كله لهذه الحقيقة وخذ العلماء عن الأدب المصري في أيام الفراعنة هذا الأدب الذي أثر في آداب الأمم الأخرى وبخاصة في أدب العبرانيين أو بعبارة أخرى فيما ورد في التوراة " (١)

ولم يتوقف الأمر عند صدمة الغربيين لما رأوه من تشابه كثير من العقائد المصرية القديمة لما جاء في التوراة بل اشتدت صدمتهم عندما رأوا تشابهاً كبيراً بينها وبين الديانة المسيحية أيضاً .

تقول مرجريت مري : " الكتاب المحدثون منهم من يُصْدم بما جاء في الديانة المصرية من أوجه شبه مع المسيحية ، ومنهم من يعالج الموضوع بأكمله بخفّة لا تخلو من السخرية والازدراء البسيط ، وكلهم ينسون أن هذه الديانة نفسها (تقصد المصرية) استمرت خلال آلاف السنين تحمل إلى معتنقيها العون في المحن ، والراحة عند الحزن ، والشجاعة عند المحن ، ومع أن المظاهر الخارجية قد تبدو غريبة ومنفِّرة في أعيننا إلا أن هذه الألهة كانت عند المصريين حقّاً وصدقاً كاعتقاد المسلمين في الله ، والمسيحيين في المسيح " (٢)

إذن فتاريخ المصريين القدماء تاريخ التوحيد ابتداءً من إدريس الذي ظهر قبل ثمانية آلاف قبل الميلاد إلى الألف الأولى قبل الميلاد على لسان حكيم – وقيل أنه نبي – من النوبة أقصى صعيد مصر أو سودان مصر ألا وهو حكيم الحكماء لقمان الذي سمَّا الله تعالى سورة من سور القرآن الكريم باسمه جاء فيها .

---

(١) د. أحمد فخري " تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني " مكتبة النهضة المصرية ص ٣٧١

(٢) مريت مري " مصر ومجدها الغابر " ترجمة محرم كمال لجنة البيان العربي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ {١٢} وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان : ١٢ ، ١٣]

جاء في تفسير القرطبي " لقمان بن عنقاء بن سرون كان نوبيّاً من أهل أيلة"(١) وقال سعيد ابن المسيب : " كان لقمان أسود من سودان مصر ذا مشافر، أعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة؛ وعلى هذا جمهور أهل التأويل إنه كان وليا ولم يكن نبيا. وقال بنبوته عكرمة والشعبي؛ وعلى هذا تكون الحكمة النبوة. "(٢)

إذن لا شكَّ في أن المصريين القدماء كان لديهم كتب سماوية ، وأن الله سبحانه قد أنزلها وحياً على نبيهم إدريس في بداية الخليقة ، ووعظ بها لقمان الحكيم قبل الميلاد بألف عام .

كما نجد في الوثائق المصرية القديمة العديد من الشواهد على أن تلك الكتب المنزّلة كانت لها في نفوسهم قداسة هائلة ، وأنهم كانوا يلتزمون التزاماً كاملاً بكل ما جاء فيها ونجد هذا على سبيل المثال في نصائح ووصايا الحكيم " آني " إذ يقول: " إذا استشارك أحد فأشر عليه بما تقتضيه الكتب المنزَّلة . " (٣)

ويقول عالم المصريات الكبير د. سيد كريم " إن ما جاءت به الكتب المقدسة من عقيدة وشريعة وعبادة " وُجدَت مُفَصَّلة في " كتاب الموتى " الذي يعتبره كثير من المؤرخين وعلماء الأديان أول دين سماوي عرفته

---

(١) تفسير القرطبي لقوله تعالى : "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ " (لقمان : ١٢)
(٢) نفسه .
(٣) د. نديم السيار " قدماء المصريين أول الموحدين " ص ١٩٧ مرجع سابق .

البشرية خاصة وأن أقدم آثاره ترجع إلى ما قبل فجر الحضارة نفسها أي قبل الأسرات سنة ٤١٠٠ ق. م " [١]

حل اللغز الذي دوخ علماء العلماء والمؤرخين

إذن وبناءً على ما تقدم فإن المصريين القدماء لم يكونوا مشركين يعبدون آلهة متعددة كما هو مشهور بل كانوا أول شعوب الأرض يؤمن بالله الواحد الأحد وبشريعته وعلومه المقدسة وذلك التوحيد هو الذي بنوا به حضارة مصر وفي كل مرة حاولوا إقامة الدولة كانت الفكرة الأساسية فيها توحيد العقيدة والإيمان بالإله الواحد وهذا ما يحل لنا الغز الذي حيَّر المؤرخين وعلماء الآثار وهو ظهور الحضارة المصرية القديمة كاملة النمو بمعرفة متكاملة في مختلف العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والطب والفنون والآداب والعمارة ،والأعجب من ذلك – أو ربما ما يفسر ذلك – تكامل العقيدة " بتوحيد الإله " رع " رب الأرباب وخالق الكون ورمزوا لقدرته بقرص الشمس وعبَّروا عنه بالقوة الخفية الكامنة التي تهب الحياة وتسيِّر الكون . " [٢]

ويلح سؤال على ذهن كل المتشككين في هذه الأدلة التي سقناها لإثبات توحيد المصريين القدماء ومعرفتهم برسالات السماء .

إذا كان المصريون القدماء مؤمنون بهذا الشكل فكيف يصفهم جمهور علماء المصريات والمؤرخون بأنهم مشركون يعبدون آلهة متعددة ؟!

والسؤال له وجاهته فإن فكرة تعدد الآلهة عند المصريين القدماء تكاد تكون من المُسلَّمات عند الحديث عن العقيدة الدينية لدى المصريين

---

(١) د. سيد كريم " لغز الحضارة " ص ٥٣ مرجع سابق .
(٢) نفسه ص ٦٦

القدماء بل إن تصحيحها سيثير جدل الناس كما صرَّح بذلك د. حسين كامل بهاء الدين وزير التربية والتعليم الأسبق .

إن لإجابة هذا السؤال قصة حان الآن ذكرها .

حيرة العلماء في ترجمة لفظ " نيثر "

من البديهي أن لفظ " الإله " الذي نصف به في كتبنا الحالية تلك الشخصيات مثل : بتاح ، ورع ، وآمون .. إلخ هو لفظ يستخدم في اللغة العربية ، ونفس الشيء لفظ God في الإنجليزية الذي يعني أيضاً " الله / إله " وكذلك بالنسبة للفظ Dieu في الفرنسية ، و Gott في الألمانية ... الخ

من البديهي أيضاً أن المصريين القدماء كانت لهم لغتهم الخاصة التي تختلف عن العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية .. الخ أي أنهم لم يكونوا يستخدمون لفظ الله أو God أو Dieu أو Gott .. الخ في وصف تلك الشخصيات وإنما كانوا يستخدمون لفظاً آخر في لغتهم وهو لفظ " نيثر " فيقولون : النيثر بتاح ، النيثر رع ، النيثر آمون .. الخ وبعد انتهاء العصور الفرعونية اندثر آخر معتنقي الديانة المصرية فلم يعد هنالك من أصحاب تلك العقيدة من يمكنه أن يحدثنا عنها ويوضح لنا مدلول مصطلحاتها ، وألفاظها الدينية ، كما أضيف إلى ذلك اندثار حروف الكتابة الهيروغليفية وذلك بعد استبدال الإغريق رسميا الحروف اليونانية بالكتابة الهيروغليفية ثم تغييرها بعد ذلك إلى الحروف العربية وبذلك ضاع مفتاح الهيروغليفية تماماً ، ولم يعد هناك من يعرف أسرارها وفك طلاسمها فحتى ما كان قد كتبه أصحاب تلك الديانة المصرية لشرح عقيدتهم لم يعد بمقدور أحد أن يقرأه . وبذلك انقطعت

الصلة تماما بالحضارة المصرية بأكملها : ديانة وفلسفة وفكراً .. الخ ثم أيضاً كتابةً ولغةً وظلَّ الأمر هكذا ما يقرب من ألفي عام إلى أن شاء الله أن يكتشف الفرنسيون حجر رشيد ثم ما أعقب ذلك من فك شمبليون لرموز الكتابة الهيروغليفية وبذلك تمكَّن العلماء من قراءة النصوص المكتوبة باللغة المصرية القديمة ، وهنا وقف العلماء من الروَّاد الأوائل في حيرة أمام العديد من الألفاظ والمصطلحات وخاصة ما يتعلَّق منها بصميم العقائد وما يرتبط بمعانٍ دينية وميتافيزيقية فاجتهد كلٌّ منهم في محاولة ترجمة تلك الألفاظ قدر استطاعته وبقدر ما أمكنه تصوُّره للمعنى المقصود من وراء هذا المصطلح أو ذاك ، وبذلك كانت الترجمة في كثير من الأحوال تقريبيَّة تخمينيَّة .

وبالنسبة لهذا المصطلح الديني " نيثر " فقد توقَّف أولئك الرواد الأوائل من العلماء أمامه طويلاً ، وكثرت اجتهاداتهم في محاولة تفسيره على مدى سنوات دون أن يصلوا إلى قرار واضح قاطع .

يقول عالم المصريات البريطاني " والس بدج " : " لقد نوقشت كلمة " نيثر " بشكل موسَّع بين عديد من علماء المصريات ، ولكن لم يتطابق ما توصلوا إليه من مغزاها أبداً " .

وفي النهاية كان لابد من الوصول إلى قرار وكان لا مفر من إيجاد ترجمة ؛ لذا أخذوا برأي البعض ممن غامر بالقول باحتمال أن هذا اللفظ قد يعني " إله " ومن يرجع إلى ما كتبه " والس بدج " في عرضه لتفاصيل ما جرى سيرى كيف كانت رحلة الحيرة في ترجمة هذا المصطلح المهم والخطير بدءاً من إعلان العلماء عجزهم عن فهمه وانتهاءً بوصول بعضهم إلى ذلك الخطأ – أو الخطيئة – بترجمته بلفظ " إله " وهي الترجمة التي – للأسف – قد ثبتت وانتشرت واشتهرت برغم

اعتراض الكثير من العلماء عليها آنذاك ، وقد كان ذلك كله في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي .

وهكذا انتهت الأمور إلى ترجمة هذا " اللفظ " في المراجع الإنجليزية God وفي المراجع الفرنسية Dieu وفي المراجع الألمانية Gott .. الخ ثم جئنا نحن فنقلنا من كتب أولئك الرواد من العلماء الأجانب وبطبيعة الحال ترجمنا ترجمتهم بلفظ " إله " وبذلك امتلأت كل كتب التاريخ الفرعوني في الإنجليزية بلفظ God كلقب لكل الشخصيات الفرعونية المقدسة مثل بتاح ، ورع ، وآمون وبالمثل في الفرنسية والألمانية وبالمثل أيضا في الكتب العربية .

وهكذا كتب تنقل من كتب ، وما تكرر تقرر فأصبحت هذه الترجمة الخاطئة وكأنها حقيقة واقعة وقضية مسلم بها .

ويقرأ القارئون فتصطدم مشاعرهم بما يطالعون من أسماء عشرات ومئات الآلهة !! فهذا الإله بتاح ، وذلك الإله رع ، والإله آمون ، والإله أوزوريس، والإله تحوت ، والإله أنوبيس أنوبيس والإله حورس .. الخ

وكان من الطبيعي أن ينفر الناس من هذا التعدد في الآلهة وهذا الشِّرك الفاضح ، وكان من الطبيعي أن يَصِم الناس أولئك المصريين القدماء بوصمة الكفر والإلحاد والشرك بالله . وهم من كل ذلك براء فالمشكلة في الأصل كانت خطأ في الترجمة أدَّى إلى خطأ نحن الذين صنعناه وصدَّقناه ثم ثبت في الأذهان ثم ظلمنا به القدماء افتراءً واجتراءً.

يقول عالم المصريات ماريت :{ فوق مَجمَع الـ " نيثر . و " (جمع نيثر) المصرية إله واحد لم يولد ولا يمكن رؤيته فهو خالد مُخْتفٍ عي

عُمق جوهره المنيع خالق السموات والأرض وكل كائن حيّ وهو على كل شيء قدير هكذا كان الله الذي تم ذكره عند قدماء المصريين ، ومن بين النصوص القديمة التي عثر عليها فقرة تقول : [الإله خالق الـ " نيثر.و "] هذا ما كتبه المصريون أنفسهم }

لقد جمع د. بروجش عدداً هائلاً من الفقرات من النصوص المصرية القديمة التي تتحدث عن الإله والواحد ومن هذه العبارات {الإله خالق الـ " نيثر.و " }

{ الإله خالق مصوِّر الناس ومكوِّن الـ " نيثر.و }

هذا ما قاله المصريون القدماء بالنص وبكل وضوح عن علاقة هذه الكائنات الـ " نيثر.و " بالإله الواحد . فهي مجرد خلق من مخلوقات الله تعالى ، ولا علاقة لها بالمرَّة بمعنى الألوهية أو المساواة بالإله الواحد الأحد فالإله هو خالقها وصانعها ومسخرها لما يريد وكلها – وكلنا – له عبيد .

وفي عقائد المصريين القدماء أن الـ " نيثر.و " قد خلقوا من النور ، ولهم قدرة على التشكل في أكثر من هيئة وصورة .

والغريب أن المصريين القدماء صوّروا بعض الـ " النيثر.و " على هيئة الحيوانات : الثور ، والبقر ، والتمساح ، والأسد ، والقط ...الخ ومن الطيور هنالك من هم على هيئة النسر ، والصقر ، والعُقاب .. الخ .

ولا شك أن هذا الأمر يثير الدهشة لدى الكثيرين خاصة عند من يظنون أن المصريين القدماء كانوا يعبدون هذه الحيوانات !!

ومن المدهش أن لفظ " النيثر " كان يُطلق على بعض الفراعنة مع أن التراث المصري حافل بالعديد من النصوص التي توضح حقيقة بشرية الفرعون وعلاقته بالإله الواحد . (١)

الخطأ في الترجمة

الحقيقة أن المصريين القدماء لم يكونوا وثنيين بل كانوا موحدين ، والخطأ كان في ترجمة كلمة (نيثر) التي ترجمت دائما بمعنى إله رغم أنها قد تعني : إله ، أو مَلَك، أو نبي ، أو كائن علوي ، أو شيطان فإذا أطلقت مثلا على " رع " فإنها تعني اسماً من أسماء الله الحسنى مالك الملك أو إله الشمس ، وإذا أطلقت على (بتاح) فتعني اسماً آخر من أسماء الله الحسنى وهو خالق الإنسان بديع السموات والأرض ، أما إذا أطلقت على "تحوت " فإنها تعني الرسول الموكل بحمل رسالة السماء إلى أهل الأرض فإذا أطلقت على " ست " فإنها تعني إبليس الشيطان الرجيم عدو الله ورسله .. وهكذا كما بينا من قبل ، وهذا موجود في كل لغات الدنيا ، فعلماء اللغة يقولون إن الكلمة لا معنى لها خارج السياق فمثلا كلمة (الرب) في اللغة العربية تطلق على " الله تعالى ، والمَلِك ، والسيد ، و المُربي ، والمقيم ، والمُنعم ، والمدبِّر ، والمصلح " (٢) . والسياق هو الذي يحدد المراد بكلمة رب .

الخطأ في ترجمة كلمة (دوا)

.كذلك كلمة (دُوا) التي ترجمت عادة بمعنى العبادة رغم أنها قد تعني : العشق ، أو الحمد ، أو الدعاء ، أو تعظيم ، أو عبادة . ومعناها يحدده السياق فإذا أضيفت لـ لاسم من أسماء الله فهي تعني

(١) لمزيد من التفصيل حول لفظ " النيثر " راجع د. نديم السيار " ليسوا آلهة ، ولكن ملائكة " .
(٢) مجمع اللغة العربية " المعجم الوسيط " مادة (رب) .

العبادة ، أما إذا أضيفت لتحوت ، امحوتب ، أو مينا، أو إخناتون فتعني التعظيم ، فإذا أضيفت إلى حيوان أو طائر فتعني الحب أو الامتنان ، ولا تعني العبادة . ومعاجم اللغة العربية لا تقصر كلمة عبادة على الله تعالى وحده إلا إذا أضيفت إلى اسمه جل شأنه ، إنما في غير ذلك فتعني الطاعة " العَبْدِيَّةُ والعُبودِيَّةُ والعُبودَةُ والعِبادَةُ : الطَّاعَةُ " (١)

و لفظ " دُوا " في قواميس اللغة المصرية القديمة يعني (العشق .. العبادة) أي أن هذا اللفظ المصري – حسب ترجمته – يحتمل معنى (المحبة والعشق) للنيثر كما يحتمل أيضاً معنى (العبادة) " (٢)

المصريون القدماء وصور الحيوانات والطيور

أما عن صور الحيوانات والطير وغيرها التي تزخر بها المعابد لم تكن صوراً لآلهة معبودة وإنما رسم المصري القديم صور الحيوانات والطيور وغيرها من الكائنات لحبه لها ولامتنانه لفضلها عليه أو لخلق قوة تمكنه من التعامل معها أو تطويعها لحسابه.

يقول د. إبراهيم كريم " كان الإنسان القديم يرسم على جدران الكهوف ما يراه من حوله من حيوانات . ومن غير المعقول أن نعتقد أنه كان يرسم تلك الرسوم من باب الفن أو الرفاهية وهو الذي يعيش عيشة الكفاف والكفاح اليومي من أجل الحياة في أبسط صورها . كان الهدف من الرسم هو تسجيل العلاقة الذبذبية بين الأشياء والزوايا . لقد خلق الإنسان الأول لنفسه من رسم الأشياء قوة مكنته من التعامل معها وقهرها أو تطويعها لحسابه." (٣)

---

(١) القاموس المحيط مادة (عبد) .
(٢) د . نديم السيار " ليسوا آلهة لكن كلائكة) ص ٢٥٥
(٣) د. إبراهيم كريم (ابن د. سيد كريم) في حوار معه أجرته مجلة أكتوبر ونشر في العدد ١١٦٨ الأحد ١٤ مارس ١٩٩٩ ص ٥٠ .

هل عبد المصريون القدماء الحيوانات والطيور ؟

إن أظهر دليل على رقي أي شعب من الشعوب ، أو أي فرد فطريٍّ ، هو معاملته للحيوان الذي يستخدمه في عمله ، وفي غذائه ، وفي تسليته .

وكان المصري يعمل جُلَّ ما في طاقته لقضاء كل ما يحتاج إليه الحيوان في رفق ورحمة . كان الفلاح منذ استأنس الحيوانات يقودها إلى الحقل ، والمراعي في أغلب الأحيان حرة طليقة ، وأحياناً يربطها بحبل ، ويقودها ، أما الجامحة فكانت تكل إلى خدم معينين . وعندما يدعو الأمر الراعي إلى عبر قناة لزاماً عليه أن يستخدم قاربين لنقل البهائم من شاطئ إلى شاطئ ، وذلك عندما تكون القناة ضحلة عميقة . لكن عندما يكون الماء ضحضاحاً . فإن الراعي يخوض الماء بجانب قطيعه حاملاً العجل الصغير على كتفيه خوفاً عليه ، وليجعل البقرة تتبعه شفقة على رضيعها " (١)

تقول د. نعمات أحمد فؤاد رداً على سؤال ، هل عبد المصريون الحيوان والطير والنبات ؟

" لا .. لقد ألَّه المصري الزهرة ، والنبتة ، والحيوان ، والتأليه هنا معناه رؤية وجه من وجوه القداسة في إحساس بالكون كله .. لقد رسموا البقرة ، شجرة . والشجرة لها ثدي ، والإنسان يرضع من الشجرة ، والمرأة لها قرنان .. هناك رأي يقول إنها في الأصل تشبيهات أدبية وخيال شعري أعجب به الناس فجسده الفنان المصور ، وأرى أن هذا لم يكن عبثا من الفنان المصري بل فلسفة كبيرة إنه يرمز إلى وحدة الكون في

(١) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

غلاف من الرحمة التي وسعت كل شيء فالشجرة رمز لعالم النبات ، والبقرة رمز لعالم الحيوان بل رمز للعطاء والحنان والأمومة إنها رهافة وجدان مصر التي فطنت من آلاف السنين إلى ما يسميه الإنجليز وحدة المعرفة ...

وإن الذين لم يروا في ديانة مصر إلا الوثنية إنما نظروا إليها في عصور الضعف كما تنظر العين إلى المصباح الخابي لا ترى فيه إلا (الهباب)..

إن الحضارة المصرية التي يقال عنها وثنية ، كانت تبشر بالمسيحية والإسلام لأن مستشف دقائقها في الفن والتفكير ، يدرك وحدة الخالق في الحياة ، والإحساس الشامل بالكون . هذا أساس الإسلام الذي لا يكف عن الدعوة إلى التأمل والتفكير .

وكانت مصر القديمة تقول : (أطع الإله في قلبك) إذن الإله الحقيقي ليس آمون أو رع ، إن هي إلا أسماء ترمز إلى الإله الحقيقي " (١)

إن خطأ ترجمة تراث المصريين القدماء هو السبب وراء رمي المصريين القدماء بتعدد الآلهة وعبادتهم لعناصر الكون .

يقول د. سليم حسن : " إن من يعرف اللغة المصرية القديمة وصعوبة فهمها واحتمال اللفظ من المعاني يلتمس العذر لعلماء الآثار في اختلافهم تعدد آرائهم وتباين مذاهبهم موضوعات كثيرة " (٢)

يقول الباحثون في : الدين ، أو الأدب ، الترجمة خيانة ويعنون بذلك أن الترجمة مهما كانت دقيقة فهي غير النص الأصلي هذا بشأن

---

(١) د. نعمات أحمد فؤاد " شخصية مصر " ص ٨٦-٨٨ بتصرف الهيئة العامة للكتاب الطبعة الخامسة .

(٢) د. سليم حسن " مصر القديمة " ج١ ص (ب، ج) مرجع سابق .

اللغات الحية كالعربية ، والإنجليزية .. فما بالك بلغة ميتة لا يتكلم بها أحد من آلاف السنين كاللغة المصرية القديمة ! قطعا فإن الاختلاف في الترجمة يكون كبيرا جدا ، و الخطأ فيها أكثر من الصواب ، والعاصم الوحيد لنا من هذا الزلل أن نضبط ترجمة عن اللغة المصرية القديمة بمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف ومصطلحاته ، فكلاهما يخرج من مشكاة واحدة .

إن المصريين القدماء كانوا مغرمين بالرسم والتصوير والنحت وسائر الفنون ولا عجب فقد كانت لغتهم عبارة عن صور ورسوم (١) وهذه الرسوم ما هي إلا رمز لما يريدون قوله فهم يرمزون لقدرة الخالق جل وعلا بالشمس ، فالشمس عندهم ليست معبودة إنما هي رمز لقدرة الله تعالى العليّ القدير ، والطائر أبو منجل هو رمز لـ " تحوت " رسول الإله وحامل رسالة التوحيد إلى المصريين .

وربما في فترات ضعف العقيدة أو أثناء وجود غزاة وثنيين مثل الهكسوس، تعبد هذه الرموز على أنها هي الإله نفسه ، ولكن ليس هذا هو حال عقيدة التوحيد عند المصريين دائما فهم كسائر الأمم عندما يأتيهم رسول وكتاب من عند الله منهم من يؤمن ومنهم من يكفر ، وبعد موت الرسول أو قتله يزيد الكفر ويطغى ، وتبدل الكتب السماوية وتحرف فينزل الله تعالى رسولاً آخر وكتاباً آخر يذكرهم بالإيمان الصحيح فيؤمن به من يؤمن ويكفر من يكفر وهكذا دواليك .

***

(١) " استعمل قدماء المصريين الرسم أكثر مما استعمله أي قوم آخرين فحتى كتابتهم كانت على هيئة صور " معجم الحضارة المصرية القديمة " ص ١٦٨